بسم الله الرحمن الرحيم
Omdurman Islamic University Journal(OIUJ)
مجلة جامعة أم درمان الاسلامية
https://journal.oiu.edu.sd/index.php/oiuj
https://doi.org/10.52981/oiuj. v21i1.3242
2025; 21(1); 489 –525
ISSN: 5361-1858

معاني (نَزَلَ) واشتقاقاتها في القرآن الكريم

هديل بنت عبدالوهاب بن سليمان الوهيبي[1]

[1]قسم القرآن الكريم و علومه – كلية أصول الدين – جامعة الإمام بن سعود الإسلامية– المملكة العربية السعودية

البريد الالكتروني: hadeelawih.w@gmail.com

للاستشهاد بهذا المقال:

هديل بنت عبدالوهاب بن سليمان الوهيبي ، معاني (نَزَلَ) واشتقاقاتها في القرآن الكريم ، مجلة جامعة أم درمان الاسلامية

ISSN: 5361-1858

https://doi.org/10.52981/oiuj. v21i1.3242

المستخلص:

تناول هذا البحث المصطلح القرآني (نزل) واشتقاقاته بالدراسة، من حيث بيان معانيه في الاستعمال القرآني، عن طريق المنهج (الاستقرائي الموضوعي)، وحصرت الدراسة معاني النزول في سبعة معاني: القول – الأمر – الإخراج والإجلاء – مدارات القمر – الحلول – المضَيّف وما يعد للضيافة، النزول الحقيقي.

كما بيّنت الدراسة تنوّع دلالاته باختلافِ أبنيته واختلاف السياق القرآني المذكور فيه.

الكلمات المفتاحية: مصطلح قرآني، نزول القرآن، دلالة

Abstract:

This study examines the Qur’anic term “nazal” and its derivatives, analyzing their meanings in Qur’anic usage through the inductive thematic method. The research identifies seven meanings of “nazal”: speech, command, expulsion and displacement, lunar phases, dwelling, hospitality and its provisions, and literal descent. The study also highlights the diversity of its connotations depending on its morphological structures and the Qur’anic context in which it appears.

Keywords: Qur’anic term, descent of the Qur’an, connotation.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على من بلّغنا الدين تامًّا كاملًا، وعلى صحبِه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

القرآن الكريم أصلُ العلومِ ومنهلها، وتعلّمه من أوجب الواجبات وأشرف ما تُشغل بهِ الأوقات وتفنى فيه الأعمار، وأَولى ما تُصرف لهُ الهمم، أنزلهُ الله رحمةً وهدى وتِبياناً لكلّ شيء ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:29] جعل الله المقصد من إنزال القرآن الكريم تدبّر آياته، فحريٌّ بالمرء أن يبذل الجهد في تفسيره، وبيانه ودراسته، ومسألة نزول القرآن الكريم من أوّل المسائل التي ترد على الذهن عند التفكر في آياته وتدبرها، وموضوع نزول القرآن الكريم، شاسعٌ متفرّع، فيُدرس من ناحيةِ كيفيته، وأسبابه، وأحواله، وقد بذل العلماء أثابهم الله في هذا الجهد الكبير، فرغبةً في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وطمعًا فيما عند الله كتبتُ هذا البحث في إيضاح معاني النزول في القرآن الكريم، وعنوانه: **معاني (نَزَل) ومشتقاتها في القرآن الكريم**.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

1. تتجلى أهمية البحث في التأكيد على إعجاز النصّ القرآني من حيث تنوّع دلالات ومعاني المفردة الواحدة لاختلافِ سياقه أو بنائه.
2. ارتباط البحث بصفتين من صفات الله سبحانه وتعالى: الكلام كما يليق بجلاله وعظمته، والعلوّ.
3. عدم وجود بحث – على حدّ علمي – تناول هذا المصطلح القرآني بالذات.

أهداف البحث:

1. إبراز معاني ودلالات مفردة (نزل) واشتقاقاتها في القرآن الكريم.
2. إثبات صفة الكلام، والعلوّ لله عزّ وجلّ.

خطة البحث:

الفصل الأول: معاني (نَزَل) ومشتقاتها في القرآن الكريم، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: ما جاء بمعنى القول.

المبحث الثاني: ما جاء بمعنى الأمر.

المبحث الثالث: ما جاء بمعنى الإخراج والإجلاء.

المبحث الرابع: ما جاء بمعنى مدارات القمر.

المبحث الخامس: ما جاء بمعنى الحلول.

المبحث السادس: ما جاء بمعنى المضيِّف، وما يُعدّ للضيافة.

الفصل الثاني: النزول الحقيقي في القرآن الكريم ودلالته، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: إنزال القرآن الكريم.

المبحث الثاني: إنزال الكتب السابقة.

المبحث الثالث: إنزال النعمة، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: إنزال الحديد.

المطلب الثاني: إنزال الأنعام.

المطلب الثالث: إنزال اللباس.

المطلب الرابع: إنزال الميزان.

المطلب الخامس: إنزال المن والسلوى.

المطلب السادس: إنزال المطر.

المطلب السابع: إنزال الرزق والخير.

المبحث الرابع: إنزال العذاب.

المبحث الخامس: إنزال الملائكة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تنزلهم بالوحي.

المطلب الثاني: إنزالهم مددًا، وتثبيتًا للمؤمنين.

المطلب الثالث: تنزلهم بالعذاب.

المطلب الرابع: تنزلهم يوم القيامة.

المطلب الخامس: تنزلهم ليلة القدر.

المطلب السادس: تنزلهم بالسحر ابتلاءً للعباد.

المبحث السادس: تنزل الشياطين.

الفصل الأول: معاني النزول في القرآن الكريم

المبحث الأول: ما جاء بمعنى القول

جاءت مفردة (نَزَل) في القرآن الكريم بمعنى القول في آية واحدة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام:93].

ولما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة القرآن الكريم وأنه كتاب منزّل من عنده مبارك، أعقبه بوعيد من ادعى النبوة والرسالة على سبيل الافتراء، والاستفهام في الآيةِ للنفي أي: لا أحد أظلم، وبدأ أولًا بالعام وهو افتراء الكذب على الله وهو أعم من أن يكون ذلك الافتراء بادّعاء وحي أو غيره، ثم ثانيًا بالخاص وهو افتراء منسوب إلى ادّعاء وحيٍ من الله تعالى ولم يوح إليه[1].

ومعنى قوله: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أي: سأقول مثل ما قال الله[2] ، وهذا قول المستهزئين، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (زعم أنه لو شاء قال مثله، يعني الشعر)[3]، وهذا جوابٌ لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [سورة الأنفال:31]، قاله الزجاج[4].

وعيّن غير واحد من المفسرين كابن عبّاس رضي الله عنهما وعكرمة والسدّي وغيرهم[5] أنّ الآية نزلت في الصحابي الجليل عبد الله بن سعد أبي سرح رضي الله عنه[6]، والروايات الواردة في ذلك لا تصح[7]، كما أن الصحابي الجليل قد ارتد بعد الهجرة ولحق بمكة وهذه السورة مكية[8]، وقيل: نزلت في عبد الله بن أبيّ بن سلول[9]، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث[10].

والحقيقةُ أنه لا حاجة من معرفة الأسماء؛ لأنّ العبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فيدخل في الآية كل المستهزئين، ويكون المراد من الموصول ﴿وَمَن﴾ العموم ليشمل كلّ من صدر منه هذا القول ومن يُتابعهم عليه في المستقبل[11].

---

(1) يُنظر: البحر المحيط، لأبي حيان (4/ 585) ت:صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط1420هـ.

(2) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣/ ١٣٧).

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١١/ ٥٣٧)،توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(4) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (٢/ ٢٧٢)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ-1988م.

(5) رواه ابن جرير في تفسيره عن عكرمة، والسدي (11/533_534)، وعزاه النحّاس في المعاني لابن عباس (٢/ ٤٥٨).

(6) أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، كان يكتب الوحي فارتدّ، ثمّ أسلم أيام الفتح وحسُن إسلامه، افتتح إفريقية في عهد عثمان ﷺ، دعا ربّه اللَّهمّ اجعل خاتمة عملي الصبح، فقبض الله روحه كما دعا، توفي سنة 36هـ. ﷺ وأرضاه. (معرفة الصحابة 1670/3 – الاستيعاب في معرفة الأصحاب 920/3).

(7) للاستزادة يُنظر كتاب الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر (2/148_151).

(8) التحرير والتنوير لابن عاشور(7/ 375)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

(9) عزاه ابن أبي حاتم في تفسيره للشعبي (4/ 1347).

(10) ذكره السيوطي في الدرّ المنثور عن عكرمة (3/ 318).

النَّضر بن الحارث بن كَلَدَة بن عبد مناف بن عبد الدار، يكنى بأبي فائد، كان أشد قريش على النبي ' بالتكذيب والأذى، وكان يحدث ثم يقول: أينا أحسن حديثا أنا أم محمد؟ ويقول: إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. ذكر الزركشي في البرهان (١/ ١٥٧): حيثما جاء في القرآن {أَساطير الأَولين}، فقائلها النضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب يوم بدرٍ صبراً بالصفراء، (نسب قريش 255 – جمل من أنساب الأشراف 1/ 139–140).

(11) التحرير والتنوير لابن عاشور (7/ 376).

وجاء التعبير بقولهِ ﴿سَأُنزِلُ﴾ ولم يقل: أقدر أن أنزل، لما فيه من وعدٍ بالفعل، وبه يحصل المقصود؛ بخلاف قوله: أقدر؛ فإنّه لا يحصل به غرض المعارض، وإنّما يحصل إذا فعل، فمن وعد بإنزال مثل ما أنزل، كان من أظلم الناس وأكذبهم؛ إذ كان قد تبيَّن عجز جميع الثقلين الإنس والجن، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن[1].

المبحث الثاني: ما جاء بمعنى الأمر

من المعاني التي دلّت عليها مفردة (نَزَل) الأمر، وجاءت على هذا المعنى في ثمانيةِ مواضعَ من كتاب الله عزّ وجلّ[2].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة:44-49]

في الآيات ستة مواضع بمعنى الأمر.

يذكر الله سبحانه وتعالى أنه أنزل التوراة فيها الهداية والنور، وأمر الأنبياء ومن أشهدهم عليها بالحكم بما أنزل الله، ثمّ أخبر **عزّ وجلّ** أنه آتى عيسى **عليه السلام** الإنجيل مصدقًا لما جاءت به التوراة وهدايةً للناس، وأمرهم بالحكمِ بما أنزل الله كذلك، ثمّ ختم ذلك بإخباره **سبحانه** أنهُ أنزل القرآن الكريم على نبيه **محمد صلى الله عليه وسلّم**، وأن هذا القرآن مصدّقٌ للكتبِ السابقة (وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظا لها)[3]، وبما أنّ أهل الكتابِ حرفوا في كتبهم، وبدّلوا أحكامهم فقد أمر اللهُ عزّ وجلّ الرسولَ صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بما أنزل الله **سبحانه وتعالى** ، وحذّره من أن يفتنوه عن ذلك.

ومعنى الحكم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في هذه المواطن أي: بما أمر الله عزّوجلّ[4]، من الأحكام في القرآن الكريم[5]، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: (الحدود)[6].

وقد جاء في الحديث الصحيح: "مُرّ على الرسول **صلى الله عليه وسلّم** بيهودي مُحَمَّمًا[1] مجلودًا، فدعاهم **صلى الله عليه وسلّم**، فقال: "هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟"، قالوا: نعم، فدعا رجلًا من علمائهم، فقال: "أَنشُدُك بالله الذي أنزل التوراة على موسى،

---

(1) النبوات، لابن تيمية (2/ 902)، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(2) المائدة: 44-45-47-48-49، الأعراف: 3، الزمر: 55.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٠/ ٣٧٧)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٢٦)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٠/ ٣٩٢).

(6) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٣)، ت: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز-المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.

أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم، والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله **صلى الله عليه وسلّم**: "اللهم إني أوّل من أحيَا أمرَك إذ أمَاتُوه"، فأَمَرَ به فرُجم"[2].

قال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:3]

يأمر الله سبحانه وتعالى المكلّفين بأن يتبعوا ما أنزله إليهم، وينهاهم عن اتّباعِ ما سواه، ويفيدُ هذا الأمر والنهي القصر، كأنّه قال: لا تتبعوا إلا ما أمرَ به ربّكم، أي دونَ ما يأمُركم به أولياؤكم، فعدل سبحانه عن طريق القصر لتكون جملة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ مستقلةً صريحةَ الدلالةِ اهتمامًا بمضمونها[3]، وتخصيصُ هذا المنزّل بأنّه ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فيه تحريضٌ على اتباعه[4].

ومعنى ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: اعملوا بما أمركم به ربكم[5] في القرآن الكريم، يقول الحسن في هذه الآية: (يا ابن آدم، أمرت باتّباعِ القرآن، فما من آيةٍ إلا وعليك أن تعلم فيما نزلت، وماذا أُريد بها، حتى تتبعه وتعمل به)[6]، ويدخل في ذلك ما جاء من الأوامر في السنةِ النبوية لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر:7][7].

قال جلّ في علاه: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الزمر:55]

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالرجوع إليه والتسليم له، بقلوبهم وجوارحهم من قبل أن يحلّ عليهم عذابه الذي لا ناصر لهم منه: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [سورة الزمر:54]، فألحق هذا الأمرَ بأمرٍ آخر وهو اتباع أحسن ما أنزله سبحانه إليهم، تحذيرًا من أن يأتيهم العذاب المفاجئ وهم غافلون عنه مستبعدين له.

ومعنى: { أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ}، ويقول ابن الأنباري إن أحسَن بمعنى حسَن[8]، كما قال الفرزدق[9]:

إنّ الذي سَمَكَ السّماءَ بنى لنا بيتًا دعائمُهُ أَعَزُّ وأطولُ[10]

أي: عزيزة طويلة، ومنهم من قال أنّ الأحسن اسم تفضيل من الحُسن، ويشتمل المعنى الأحسن في ذاته، والأحسن في العمل، وأحسن ما أُنزل قطعًا هو القرآن الكريم لأنه آخر الكتب][11]، ولأنه سبحانه وتعالى ذكر أنه أحسن الحديث فكتابًا هنا بدلٌ من أحسن الحديث[12].

واختلف العلماء في معنى الأحسن في العمل على أقوال:

---

(1) التَّخْمِيم تسويد الْوَجْه، والحمم: الفحم. (تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي ١٣١).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنى (1327/3/ح:1700).

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور (8 – القسم الثاني/ ١٧) بتصرف، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

(4) تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبد الوهاب (69)، ت: د.محمد بلتاجي، الناشر: جمعة الإمام محمد ابن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٢/ ٢٩٨)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(6) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد الواحدي (٣/ ١٦٩)، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، ١٤٣٠هـ.

(7) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ١٦١)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ–1964م.

(8) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (153/2)، ت: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1422هـ.

(9) همام بن غالب بن صعصعة من حنظلة من تميم، أبو فارس، عرف بشعر المدح والهجاء والرثاء، قال الشعر 74 سنة، ت:110هـ (طبقات فحول الشعراء 298/2 – معجم الشعراء 486_487).

(10) ديوانه (155/2).

(11) تفسير العثيمين – الزمر (390–391)، الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية،ط1، ١٤٣٦هـ.

(12) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (4/ 358)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ–1988م.

القول الأول: ما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه، قال السدّي: (الأحسن ما أمر الله به في الكتاب)[1].

القول الثاني: العمل بالأحسن دون الحسن، فالله سبحانه أمرنا بالانتصار بعد الظلم {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [سورة الشورى:41]، ونحو القصاص في الجروح إذ قال سبحانه: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [سورة الشورى:43]، فهذا كلّه حسن والعفو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار[2].

القول الثالث: اتباع سبيل الخير، فالله عزّ وجلّ قد بين السبيلين جميعًا: سبيل الخير والشر على الإبلاغ؛ فيقول: اتبعوا سبيل الخير منه، ولا تتبعوا سبيل الشر[3].

القول الرابع: المحكم. قال ابن زيد: (يعني المحكمات وكِلوا علم المتشابهات إلى عالمها)[4].

القول الخامس: أحسن اسم تفضيل مستعمل في معنى: كامل الحسن، وليس في معنى تفضيل بعضه على بعض؛ لأن جميع ما في القرآن حسن، فهو من باب قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [سورة يوسف:33]، وكقولهم: الصيف أحر من الشتاء[5].

وهذه الأقوال كلّها محتملة لا يخالف بعضها بعضا، فهي من باب التنوّع، يقول الطبري: (فإن قال قائل: ومن القرآن شيء وهو أحسن من شيء؟ قيل له: القرآن كله حسن، وليس معنى ذلك ما توهمت، وإنما معناه: واتبعوا مما أنزل إليكم ربكم من الأمر والنهي والخبر، والمثل، والقصص، والجدل، والوعد، والوعيد أحسنه أن تأتمروا لأمره، وتنتهوا عما نهى عنه، لأن النهي مما أُنزل في الكتاب، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه، فذلك وجهه)[6]، والله أعلم.

المبحث الثالث: ما جاء بمعنى الإخراج والإجلاء

من معاني مفردة (نَزَل) الإخراج والإجلاء من المكان، ووقفت على هذا المعنى في آية واحدة من كتاب الله.

قال الله تعالى: {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} [سورة الأحزاب:26]

المرادُ (بنو قريظة)[7] قاله مجاهد، وهو قول أكثر المفسرين، وقد عاهدوا الرسولَ صلى الله عليه وسلّم ألا يقاتلوا المسلمين ولا يعاونوا أحدًا عليهم، لكنّهم وكعادةِ اليهود نقضوا هذا العهد، فلما كان هذا شأنهم، أمر اللهُ سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل عليه السلام أن يقاتل بني قريظة، جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: "... فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وضعتَ السلاح؟ والله ما وضعناه اخرج إليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة، فقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فردّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم الحكم فيهم إلى سعد رضي الله

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (21/ 312)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

[2] معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (2/ 375)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ-1988م.

[3] تأويلات أهل السنة للماتريدي (8/ 696)، ت:د.مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ-2005م.

[4] الكشف والبيان للثعلبي (8/ 246)، ت:الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422، هـ-2002م.

[5] التحرير والتنوير لابن عاشور (24/ 44)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

[6] جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (21/ 312)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

[7] تفسير مجاهد (549) ت: د. محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،ط1، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

عنه، قال: "فإني أحكم فيهم أن تُقتل المُقَاتِلَة، وأن تُسبى الذرية والنساء، وتقسم أموالهم"[1]، ومعنى أنزلهم من صياصيهم أي أخرجهم من حصونهم وقصورهم، وعبّر عن الخروج بالنزول هنا لما فيه من مذلّة لهم بعد علوّ ورفعة، يقول الشيخ ابن عثيمين في هذه الآية: (إشارةٌ إلى انحِطاط هؤلاء اليهود وذلهم ونزولهم من الأعلى إلى الأسفل؛ فإنهم حصَل لهم مع خُروجهم من حُصونهم من الذل والعار والخِزي ما هو باقٍ إلى يوم القيامة)[2].

والآيةُ فيها معنيان للنزول، أولًا نزولهم تحت حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، ونزولهم من حصونهم أي خروجهم وإجلاؤهم منها وهذا ما وضحته دلالةُ السياق، والله أعلى وأعلم.

المبحث الرابع: ما جاء بمعنى مدارات القمر

جاءت مفردةُ (نَزَل) على وزنِ (مَفَاعِل) في موضعين من كتاب الله، ومنازل جمع على وزنِ مفاعل، وهذه من صيغ منتهى الجموع وهي ممنوعة من الصرف [3]، مفردها منزِل، والمنزل: ما يسكن به [4]، وموضع النزول[5]، وفي القرآن الكريم جاء هذا الوزنُ في منازل القمر وهي بمعنى مداراته، وسميّت منازلًا؛ لأن القمر ينزِل كل ليلة منزلًا منها[6].

قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [سورة يونس:5]

بيّن الله سبحانه وتعالى الحجج والبراهين على وحدانيته، ومن أدلةِ ذلك الشمسُ والقمر، فهو جلّ جلاله خلق الشمس وجعلها ضياءً وخلق القمر وجعله نورًا، وقدّر للقمر، أو للقمر والشمس مداراتٍ يُعلم بها السنين والأشهر والأيام، خلق الله سبحانه هذا كلّه بالحقّ علامةً على وحدانيته لمن كان له ذهن وتمييز.

وفي عود الضمير في قوله تعالى: {وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ} قولان:

القول الأول: أنه عائد على القمر؛ لأنّ بالأهلةِ يُعرف انقضاء الشهور والسنين يقول الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} [سورة البقرة:189][7].

القول الثاني: أنه عائد على الشمسِ والقمر[8]؛ والضميرُ عاد إلى أحدهما اختصارًا، مثل قوله تعالى: {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} [سورة التوبة:62].

والقول الأوّل أقوى؛ لقوله سبحانه وتعالى: { وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ} [سورة يس:39]، وللتعليل المذكور آنفًا، وقد يُعمل بالقاعدة التفسيرية: (إذا كان في الآية ضميرٌ يحتمل عوده إلى أكثر من مذكور، وأمكن الحمل على الجميع، حُمل عليه)[1]، والقولان محتملان لا يُخالف أحدهما الآخر.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم (3/1389/ح:1769).

(2) تفسير العثيمين – الأحزاب (197–198).

(3) الكتاب لسيبويه (3/ 227)، ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، ط3، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(4) المنجد في اللغة لكراع النمل (197)، ت: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، الناشر: عالم الكتب –القاهرة، ط2، ١٩٨٨م.

(5) جمهرة اللغة لابن دريد (2/ 827)، ت: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط1، ١٩٨٧م.

(6) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (192)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(7) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٥/ ٢٣)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(8) معاني القرآن، للأخفش (١/ ٣٦٩)، ت: د.هدى محمود قراعة، الناشر:مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411 هـ–1990م.

وفي الآيةِ دلالةٌ على أن تعلّم الحساب والتعرف على منازل القمر من العلوم النافعة التي قد نُدب الناس إلى تعلمها، وليس بمشغلة عن الدين[2].

قال الله تعالى: { وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [سورة يس:39]

يخبر الله سبحانه وتعالى عن قدرتهِ واستدلّ عليها بآيتين من آياته الكونية، وهما الليلُ والنّهار وعن أبرزِ علاماتِهما الشمسُ والقمر، فالشمسُ تجري لمستقرٍ لها، لا تتعداه ولا تُخلف المسير إليه تقديرًا من عندهِ وهو العزيزُ العليم، والقمرُ {قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ} في السماء وجعله سبحانه يسيرُ سيرًا آخر يُستدل به على مضي الشهور؛ فالشمس تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفًا وشتاءً، يطول بسبب ذلك النهار ويقصُر الليل والعكس، وأما القمر، فقدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلًا قليل النور، ثم يزداد نورا في الليلة الثانية، ويرتفعُ فكلما ارتفع منزلةً ازداد ضياءً، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرعُ في النقص إلى آخر الشهر[3]، فإذا صار القمر في آخر منازله دقّ حتى يعود {كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} وهو العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ، وشبّههُ بذلك لتقوّسه وانحنائه إذا يبُس[4]، فصار يشبه الهلال.

ومنازلُ القمرِ: المدارات التي يدور فيها القمر حول الأرض، يدور كل ليلة في أحدها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، وهي ثمانية وعشرون، لكل منها اسم معين[5]، وسميت هذه المدارات بالمنازل؛ لأنّها موضع نزول القمر، فالقمر ينزل كلّ ليلة في واحد منها على تقديرٍ مستوٍ لا يتفاوت، يسيرُ فيها كل ليلةٍ من المستهل إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر[6].

المبحث الخامس: ما جاء بمعنى الحلول

من معاني (نَزَل) في القرآن الكريم الحلول، وجاءت في موضع واحد.

قال الله تعالى: {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ} [سورة الصافات:177]

كان المشركون من فرطِ تكذيبهم بالرسول صلى الله عليه وسلّم، واستبعادهم لعذابِ الله تعالى يتمادونَ في المعاصي، ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلّم أين العذاب الذي تعدوننا به؟ {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سورة يونس:48]، لذا قال الله سبحانه وتعالى فيهم: {أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ} [سورة الصافات:176]، أي: لا تستعجلوه فإنّه واقعٌ بكم[7]، والاستفهام هُنا تبكيت لهم بإنكار وتهكم[8]، ثمّ قال عزّ من قائل: {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}، أيّ إذا حلّ[9] العذابُ بفنائهم[10] فبئس الصباحُ

---

(1) قواعد التفسير، لخالد السبت (400)، الناشر: دار ابن عفان 1421هـ.

(2) نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، لمحمد بن علي القصاب (١/ ٥٨٥)، ت:علي بن غازي التويجري، دار النشر: دار القيم – دار ابن عفان، ط1، 1424 هـ-2003م.

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٥٧٧-578) بتصرف، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (٢٠/ ٥١٨)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة (3/ 1857/مادة: قمر)، المعجم الوسيط (915/مادة: نزل).

(6) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٤/ ١٦) بتصرف يسير، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، ١٤٠٧هـ.

(7) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (15/ 140)، ت:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ-1964م.

(8) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (3/ 338)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، ١٤٠٧هـ.

(9) تأويلات أهل السنة للماتريدي (8/ 595)، ت:د.مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ-2005م.

(10) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (21/ 133)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

صباحَهم، يقول مقاتل: (نزل بساحتهم أي بحضرتهم)[1]، وعن الفرّاء: (أنّ العرب تجتزئ بالسّاحةِ من القوم، ومعناهما واحد)[2]، يعني إذا قيلَ حلّ العذابُ بساحتهم أي بِهم.

وعبارة (نزل العذاب بساحتهم) يقولها العرب للتهديد والوعيد[3]، كما جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم كان إذا غزا بنا قوما، لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كفّ عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم، قال: فخرجنا إلى خيبر، فانتهينا إليهم ليلًا، فلما أصبح ولم يسمع أذانًا ركب، وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلّم، قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم[4]، فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلّم، قالوا: محمد والله، محمد والخميس، قال: فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: "اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحةِ قوم {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}"[5].

المبحث السادس: ما جاء بمعنى المُضيِّف، وما يعد للضيافة

جاءت مفردة (نَزَل) بمعنى المضيّف، وما يُعدّ للضيافةِ في عشرةِ مواضع من كتاب الله عزّ وجلّ.

قال الله تعالى: {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} [سورة آل عمران:198]

من أسباب نزول القرآن الكريم تثبيتُ فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلّم، ولِما كان للكفار من رخاءِ عيشٍ، قال الله سبحانه للنبي صلى الله عليه وسلّم ولكل سامع: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [سورة آل عمران:196-197]، فكل ما هم فيهِ متاعٌ قليل، لأنّ الدنيا فانية و(كلّ ما هو فانٍ فهو قليل)[6]، وبعدها فإنّ مصيرهم ومآلهم جهنّم وبئس المهاد، ثمّ عقّب سبحانه في هذه الآية بذكر وعد المؤمنين، فوعد سبحانه الذين يجعلون بينهم وبين عذابِ الله وقاية، باتّباع أوامره واجتنابِ نواهيه، بجنّات النعيم تجري من تحتِها الأنهار خالدين فيها أبدًا، لا يفنى هذا النعيم ولا ينفد، وهذا النعيم {نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أي: ضيافةُ ربّ العالمين لهم، ثوابًا منه ورزقًا، وسماه نُزُلًا؛ لأنه ارتفع عنهم تكاليف السعي والكسب، فهو شيء مهيأ لهم بلا تعب، ولا مشقة، كالطعام المهيأ للضيف فهو لم يتعب في تحصيله[7].

---

(1) تفسير مقاتل (3/ 624)، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

(2) معاني القرآن للفراء (2/ 396)، ت: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1.

(3) تفسير العثيمين – الصافات (363).

(4) المكاتل: جمع مِكتل، وهو الزبيل الكبير. (النهاية في غريب الحديث والأثر 4/ 150)، والزبيل: الجراب، وهو عند العامة ما يتخذ من الخوص بعروتين (العين 7/ 369/مادة: زلب)، المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد، والميم زائدة؛ لأنه من السحو: الكشف والإزالة. (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٣٤٩).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب: ما يُحقن بالأذانِ من الدّماء، (125/1/ ح: 610).

(6) الكشف والبيان للثعلبي (3/ 236)، ت:الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422، هـ-2002م.

(7) البحر المحيط، لأبي حيان (3/ 483)، ت:صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط1420هـ.

ولابن عطية أنّ معنى (نُزُلًا) تكرِمة [1]، والتكرِمةُ هي المكان الذي يختصُّ به صاحب البيت ويعتاد الجلوس عليه[2]، كما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلّم: "ولا يؤمّ الرجلُ الرجلَ في سلطانِه، ولا يقعُدُ في بيتِه على تكرِمتِه إلا بإذنه"[3]، ففي هذين المعنيين إشارةٌ إلى أنّ المؤمنينَ ضيوفُ الرحمن جلّ وعزّ ضيّفهم بجنته، فصاروا بحكمِ أصحابِها، وهذا من كمالِ فضلِه ومنّه وكرمه وإحسانه.

قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [سورة يوسف:59]

لما تولى يوسف عليه السلام خزائن الأرض، دبرها أحسن تدبير، فزرع في أرض مصر جميعها في السنين الخصبة، زروعا هائلة، واتخذ لها المحلات الكبار، وجبا من الأطعمة شيئًا كثيرًا وحفظه، وضبطه ضبطاً تاماً، فلما دخلت السنون المجدبة، وسرى الجدب، حتى وصل إلى فلسطين، التي يقيم فيها يعقوب وبنوه، فأرسل يعقوب بنيه لأجل الميرة إلى مصر[4]، فلمّا جهزهم يوسف عليه السلام بجهازهم طلب منهم أن يأتوا بأخيهم، وحثّهم على ذلك بقوله: {أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [سورة يوسف:59]، ومعنى {خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: (أي أنا خيرُ من يُضيف بمصر)[5]؛ لأنّه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم[6].

وفي هذه الآيةِ حجةٌ لمن أراد تطرية النفسِ عند الحاجة وتسميتها بأسامي الخالق، فهُنا وصِف عليه السلام بأنه {خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} والله سبحانه وتعالى هو خيرُ المنزلين كما جاء في قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [سورة المؤمنون:29]، وحجةٌ أيضًا لمن يقول إذا أراد مدح إنسان: فلان خير من فعل كذا، وفلان أحسن الناس وجها، وإن كان في الناس من هو خير منه وأحسن، إذا أضمر القائل ناس عصره، وعزل من تقدمهم من الأفضل بنيته، فلا يكون كاذبا ولا آثمًا بما يدل عليه ظاهر قوله[7]، وفيها بُرهانٌ كذلك على أن الضيافةَ وإكرام الضيفِ من سنن المرسلين[8].

قال تعالى: {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا} [سورة الكهف:102]

ابتدأت الآية باستفهامٍ إنكاريّ؛ توبيخًا للذي كفروا، أي: هل ظننتم أنكم باتخاذكم عبادي من دوني أولياء ألّا أعاقبكم على ذلك؟ وأنّ ما اتخذتم منهم سينفعونكم؟ كلّا لا ينفعونكم، بل يضروكم، وأعاقبكم على ذلك العقاب الشديد، فقد أعددتّ {جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا}[9]، ومعنى النُزُل هنا: منزلًا[10]، قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: (يريد هي مثواهم ومصيرهم)[11]، وتأتي بمعنى الضيافةِ، وفيه تهكم؛ إذ جعل ما يعذبون به في جهنم كالزقوم والغسلين ضيافةً لهم[12]، ونظيرُ هذا ما قاله أبو الشعر الضّبي[1]:

([1]) المحرر الوجيز لابن عطية (1/ 558)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ.

(2) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (1/ 343)، ت: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢م.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحقّ بالإمامة، (1/465/ح:673).

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (401)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م.

(5) ذكره الطبري في تفسيره (16/ 155) عن مجاهد، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (2164/7) عن ابن عباس.

(6) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (3/ 117)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ–1988م.

(7) يُنظر: نكت القرآن، للقصّاب (1/ 619 – 620)، ت:علي بن غازي التويجري، دار النشر: دار القيم – دار ابن عفان، ط1، 1424 هـ–2003م.

(8) تيسير اللطيف المنان، للسعدي (1/ 283)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م.

(9) يُنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (4/ 241)، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م.

(10) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠٤)، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

(11) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد الواحدي (٣/ ١٦٩)، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، ١٤٣٠هـ.

(12) محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (7/ 79)، ت: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

وكُنّـــــا إذا الجبّـــــار بالجـــــيش ضَـــــافنَا جعلنـــــا القَنـــــا والمرهَفَـــــات لـــــه نُـــــزُلا

يعني لو ضيّفنا الجبارُ بالإغارة علينا، ضيّفناه رِماحنا وسيوفنا ردًّا على ضيافته، والأصلُ في الضيافة التكريم وهُنا خلاف ذلك فصارَ تهكّمًا.

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [سورة الكهف:107]

بعد أنّ ذكر الله سبحانه وتعالى ما أعدّ من نُزُل للكافرين، أتبعه بذكر ما للمؤمنين من نُزُلٍ ترغيبًا لهم وبِشارة، ونُزُلهم جنّات الفردوس، والفردوسُ هو ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلّم: " إنّ في الجنّة مئة درجة، أعدّها اللهُ للمجاهدين في سبيله، كلّ درجتين ما بينهما كما بين السّماء والأرض، فإذا سألتُم اللهَ فسَلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنّة، وأعلى الجنّة، وفوقه عرشُ الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة".[2]

ومعنى النُزُل: أي ضيافةً وكرامة[3]، ومنزلًا لهم[4]؛ ففي الفردوسِ مسكنهم ومن نعيمها ضيافتهم، وفي هذا إشعارٌ بأنّ المؤمنين ضيوفٌ عند الله سبحانه وتعالى وهو **ﭐﱡﱠ**خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ**ﭐﱡﱠ** [المؤمنون: 29]، وهذا من كرامات المؤمنين.

قال تعالى: {أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة السجدة:19]

جاء في آيات سورة السجدة تكذيب المشركين للبعث في الدنيا ووصف حالهم يوم القيامة، وما يقابلها من الآيات بذكر أعمال المؤمنين وما أعدّ اللهُ لهم يوم المعاد، ثمّ نفى سبحانه المساواة بين الفريقين، لا يستوون في الأعمالِ كما ذكرت الآيات، ولا العاقبة كما جاء في هذه الآية.

فالذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله لهم جنّات يسكنونها ويأوون إليها في الآخرة، (وهذه الجنّات هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحل الأفراح، ونعيم القلوب، والنفوس، والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه، وسماع خطابه)[5]، أعدّها الله جلّ وعلا لهم {نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} أي: ضيافةً لهم[6]، جزاءً منه[7]، والنُزُل يطلقُ على محلّ نزول الضيف[8]، وجعل الله سبحانه ما يتنعَّمون به نُزُلًا فيُكرمون به كما يُكرم الضّيف بضيافته؛ لما يجد الضيف من السرور في نفسه إذا أُكرم بالضيافة بخلاف من يُقدم له الطعام عاديًّا، يرى أنّه شيء معتاد ليس له أهمية، أمّا لو قُدّم له كضيافة وهو مكرم ومحترم، فيتلذذ بالطعام التلذذ الجسدي، ويجد تلذذًا وراحةً نفسية، وهذا العطاء لهم بسبب أعمالهم، فالباءُ هنا سببية[9].

قال جلّ في علاه: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ} [سورة الصافات:62]

---

(1) موسى بن سُحيم، شاعر أموي، كان يهاجي الطرماح والأُقيشر الأَسدي. (معجم الشعراء 338) وهو شاعر مقل، لم يصلنا من شعره إلا نزر يسير، جمع منه ثلاث مقطعات الدكتور حسن عيسى أبو ياسين في كتابه "شعر ضبة وأخبارها" (223– 224)، وليس هذا البيت فيها، وهو بيت فرد من أبيات الشواهد، أول من استشهد به الزمخشري في الكشاف (4/ 214)، ثم نقله عنه الناس.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: "وكان عرشه على الماء"، "وهو ربّ العرش العظيم" (9/125/ح:7423).

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٧/ ٥٣٩)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ–1999م.

(4) بحر العلوم، للسمرقندي (315/2)، ت: ش.علي محمد معوض، ش.عادل أحمد عبدالموجود، د. زكريا عبدالمجيد النوتي – دار الكتبالعلمية – بيروت، ط1، 1413هـ.

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (655)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م.

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (14 / 107)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة،ط2، 1384هـ–1964م.

(7) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (20/ 188)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(8) التحرير والتنوير لابن عاشور (21 / 232)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

(9) يُنظر: تفسير العثيمين – السجدة (95_96).

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى حال منكري البعث يوم القيامة، ثنّى بذِكر نعيم المؤمنين: {أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (44) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (47) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} [سورة الصافات:41-49]، وبعد أن ذكر الله هذا النعيم قال سبحانه وتعالى على سبيل الاستفهام التقريري[1]: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ} اسم الإشارة عائدٌ على ما تقدم ذكره من نعيمِ المؤمنين، أي: أهذا الذي أُعِد للمؤمنين من النعيم خيرٌ أم شجرة الزقوم؟، ومعلومٌ أنّ شجرةَ الزقوم لا خير فيها، لكن يجوز عند العرب الجمع بين شيئين متضادين أحدهما خيرٌ والآخر لا خير فيه إذا كان الكلامُ استفهامًا في تقرير، مثل أن يقال: العافية خيرٌ أم السُّقم؟ الإطلاقُ خيرٌ أم الحَبس؟[2]وإنّما يريد تقرير الأمرِ للمخاطَب أنه لا خير إلّا في أحدهما[3]، فيكون المعنى: إنّه خيرٌ نُزلًا من شجرةِ الزّقوم[4]، واستُخدم هذا الأسلوب هنا على سبيل التهكم بمن تنعموا في الدنيا ونسوا نعيم الآخرة[5].

ومعنى {نُزُلًا}أي: ضيافةً وعطاءً[6]، تقول أقمتُ للناسِ نُزُلهم: أي غذاؤهم وما يصلح معه أن ينزلوا عليه، وهو من الطعامِ ما كان ذا ريعٍ وفضل[7]، وجاء وصف نعيم الجنّة بالنُزُل إشارةً إلى أنه إنما هو شيء يسير كما يقدم للضيف عند نزوله دليلًا على أنّ وراء ذلك مما لا تسعه العقول ولا تضبطه الفهوم[8].

قال أرحم الراحمين: {نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [سورة فصلت:32]

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [سورة فصلت:30]، تتحدث الآية عن المؤمنين الحقّ الذين استقرّ الإيمان في قلوبهم ثمّ استقاموا بجوارحهم، استقامةَ طاعةٍ وامتثالٍ لأوامر الله، بأنّ الملائكة تتنزّل عليهم ببِشاراتٍ ثلاث: بأن لا يخافوا، ولا يحزنوا، وبأنّ الجنّة مأواهم التي وعدهم الله، وتقول لهم الملائكةُ أيضًا: {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} [سورة فصلت:31]، أي: لكم في الجنةِ ما تشتهيه نفوسكم، وما تتمنونه.

ومن سعة فضل اللهِ سبحانه وتعالى جعل هذا النعيم كلّه {نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [سورة فصلت:32]، أي ضيافة وعطاء وإنعاما ورزقًا من غفور لذنوبكم، رحيمٍ بكم حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم، فهو سبحانه قد غفر، وستر، ورحم، ولطف[9]، وفي قولِه {نُزُلًا} تنبيهًا إلى أنّ هذا كله يكون لكم كما يُقدم إلى الضيف عند قدومه إلى أن يتهيأ ما يضاف به[10].

قال ربّ العالمين: {هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} [سورة الواقعة:56]

---

(1) المسائل والأجوبة لابن قتيبة (262)، ت: مروان العطية – محسن خرابة، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

(2) المسائل والأجوبة، لابن قتيبة (262)

(3) تفسير السمعاني (4/ 401)، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط1، 1418هـ– 1997م.

(4) تفسير يحيى بن سلام (2/ 833)، ت: هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1425 هـ–2004م.

(5) تفسير العثيمين – الصافات (142).

(6) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 18)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ–1999م.

(7) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (4/ 306)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ–1988م.

(8) نظم الدرر للبُقاعي (16/ 238)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(9) يُنظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (389)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 177)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (749).

(10) نظم الدرر، للبُقاعي (17/ 185)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

تحدثت آيات سورة الواقعة عن اليوم الآخر وعن أصحاب اليمين ونعيمهم في الجنّة، وأصحاب الشمال وما لهم في الآخرةِ والنار، ومما ذكرت الآيات طعامُ أهل النارِ وشرابهم: {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ} [سورة الواقعة:51-55]، بعد أن ذكر الله هذه الآيات بيّن أنّ {هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} أي: أنّ هذا الذي ذُكر من الطعام والشراب هو الرزق الذي يُضيّفون به يومَ حسابهم[1]، وهي الضيافة التي قدموها لأنفسهم، وآثروها على ضيافة الله لأوليائه[2]، والنُزُل ما يقدّم من بابِ التكريم وسُميَ ما يقدم إليهم من العذابِ بذلك؛ تهكمًا بهم كما في قوله تعالى: {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [سورة آل عمران:21][3]، وفي هذا دلالةٌ على عظيمِ عذابِ أهل النار؛ فإن كان هذا هو نُزُلهم الذي يُقدم أوّل قدومهم، فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم![4] أعاذنا الله منها، وفي العدول عن خطابهم: {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ} وما بعدها من الآيات، إلى ضمير الغائب: {هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} تحقيرًا من شأنهم[5]، وعلامةً على الحال التي يكونون فيها من عدم قدرتهم على السمع؛ لهول مصابهم.

وفي قوله تعالى: {نُزُلُهُمْ} قراءتان: {نُزُلُهُمْ} بضمّ الزاي: جميع القراء السبعة عدا أبي عمرو، و{نُزْلُهُمْ} بسكون الزاي: قراءة أبي عمرو[6]، وهما لغتان[7].

قال القويّ العزيز: {فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ} [سورة الواقعة:93]

كعادةِ القرآن الكريم بأن يأتي الترهيبُ بعد الترغيب أو العكس، فقد ذكرت الآيات السابقة ما للمقربين وأصحاب اليمين من النعيم، فأعقبها بقوله: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ} [سورة الواقعة:92-93]، فهذا إخبارٌ من الله سبحانه وتعالى بأنّ للمكذّبين بآيات الله، الجائرين عن سبيله، حميمٌ قد أغلي حتى انتهى حرّه، يُصهَر به ما في بطونهم والجلود، ضيافةً لهم[8]، وهذا أسلوب تهكمٍ بهم.

والنُزُلُ هو ما يُعدّ للضيف عند قدومه، فدلت هذه الآيات على أنّ أهل النّار يتحفون عند دخولها بالشرب من الحميم، وهم إنّما يُساقون إلى جهنم عطاشًا {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [سورة مريم:86]، قال مجاهد: أي: (متقطعة أعناقهم عطشًا)[9].

---

(1) يُنظر: غريب القرآن، لابن قتيبة (450)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 539)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (835)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (4/ 464)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، ١٤٠٧هـ.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (5/ 181)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، ١٤١٨هـ.

(5) صفوة التفاسير لمحمد بن علي الصابوني (3/ 299)، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ-1997م.

(6) السبعة، لابن مجاهد (623)، ت: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

(7) معاني القراءات، للأزهري (3/ 52)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ-1991م.

(8) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (23/ 163)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (7/ 551)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.

(9) تفسير ابن رجب الحنبلي (2/ 332)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ.

الفصل الثاني: النزول الحقيقي في القرآن الكريم ودلالته

المراد بالنزول الحقيقي هُنا، هو نزول الأشياءِ من علوّ إلى سفل، فالنون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه[1]، من علوّ إلى سفل[2]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق بالقرآن؛ فإنه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولًا إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابًا بغير لغتها)[3]، والإنزال قد يكون من اللهِ سبحانه كإنزال القرآن الكريم والكتب السابقة، وإنزالٌ من سحاب وإنزالٌ من جبالٍ وغير ذلك مما سيأتي بيانه في هذا الفصل.

وفي هذا المعنى دلالةٌ على صفةِ العلوّ لله سبحانه وتعالى، وكلام السابقين والتابعين مملوء بما فيه إثبات العلو لله تعالى على عرشه بأنواع من الدلالات ووجوه من الصفات وأصناف من العبارات؛ ومنها إخباره بنزول الأشياء منه أو من عنده أو من علوّ –كما هو مذكور في هذا الفصل– لأنّ من تنزيهه سبحانه عن صفات النقص ألّا يوصف بالسّفول ولا علوّ شيءٍ عليه بوجه من الوجوه، بل هو العليّ الأعلى الذي لا يكون إلا أعلى[4].

المبحث الأول: **إنزال القرآن الكريم**

من لوازم الإيمان بالكتب السماوية التصديق الجازم بأنّها كلّها منزّلة من الله **سبحانه وتعالى** ، والقرآن الكريم آخر الكتبِ المنزّلة، وأعظمها، والنّاسخ لها، والمهيمن عليها {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [**سورة المائدة**:48]، وهو كلام الله **سبحانه وتعالى** تكلّم بهِ حقيقة وأنزلهُ إلينا، قالت أمّ المؤمنين الطاهرة المُطهّرة عائشة بنت أبي بكرٍ **رضي الله عنهما**، عندما أثبت الله براءتها من الإفك المُفترى عليها: "ولكن والله ما كُنت أظنّ أن الله يُنزِلُ في براءتي وحيًا يُتلى، ولَشَأْني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمرٍ يُتلى"[5]، فثبت أنّ القرآن كلامُ الله **جلّ جلاله** وفي إثباتِ هذا إبطالٌ للقولِ بأنّه مخلوق؛ لأنّ كلامه صفته وصفات الله غير مخلوقة.

من الآيات الشاهدة على إنزال القرآن الكريم:

الشاهد الأول: قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [**سورة البقرة**:23]

تحدّى الله سبحانه الشّاكين في القرآن المنزّل من الله **سبحانه وتعالى** على نبيّه **صلى الله عليه وسلّم** بأن يأتوا بسورةٍ من مثله، يقول قتادة: (بسورة مثل هذا القرآن)[6]، فعجزوا منذ ذلك الوقت وحتى وقتنا الحالي وإلى قيام الساعة {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [**سورة الإسراء**:88] ففي عجزهم (بيانٌ بيّنٌ أن القرآن خرج من

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس (5/ 417/مادة: نزل)، ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(2) العين (7/ 367 /مادة: نزل)، ت: د.مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(3) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (12/ 257)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

(4) يُنظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (5/ 164 – 518)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: "يريدون أن يبدلوا كلام الله" (9/ 144/ ح: 7500).

(6) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (1/ 374)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

الخالق، لا من المخلوقين، وأنه كلام الخالق لا كلام المخلوقين، ولو كان كلام المخلوقين ومنهم؛ لقدر المخلوق الآخر أن يأتي بمثله، أو بأحسن منه؛ لأنه لم يتكلم مخلوق بحق وباطل من الشعر، أو الخطب، أو المواعظ، أو من كلام الحكمة، أو غير ذلك، إلا وقد أتى بمثله أو بأحسن منه نظراؤه ممن هم في عصره، أو ممن بعده)[1]، والقرآن الكريم غير مخلوق؛ لأنّ كلامَه صفته، وصفته غير مخلوقه ولو جاز أن نسمي القرآن صفةً من صفات الله ومخلوقًا، لجاز أن نسمي كل مخلوق بأنه صفة من صفات الله؛ ومعلوم أن هذا منكر ولم يقل به أحد، فلم يقل أحد إننا صفات الله إلا من قال بوحدة الوجود، وهؤلاء معروف أنهم ملحدون[2]، ومجيء الآية بصيغة التضعيف الدالّة على التدرّج والتنجيم؛ آكد في إثبات أنّ القرآن كلامُ الله سبحانه، وزيادةً في التحدّي؛ إذ أنّه رغم تباعد المدّة بين سورِه وآياتِه وحتى آيات السورة الواحدة إلّا أنّه متشابهٌ مترابط {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [سورة النساء:82]، {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ} [سورة الزمر:23].

الشاهد الثاني: قال ربّ العزّة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ ﴾ [سورة المائدة:101]

نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسول الله ‘ المسائل، كمسألة من سأل من أبوه؟، ومسألة من سأله عن الحجّ أفي كلّ عام، وما أشبه ذلك من المسائل، قال ابن عبّاس رضي الله عنه (لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك، ولكن انتظروا، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شيء إلا وجدتم تبيانه)[3]، والآية أيضًا فيها دلالة على النهي عن السؤال عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى أن يكون السؤال سببًا لنزول التشديد فيه[4]، قال النبي ‘: "إنّ أعظم المسلمين جرمًا، من سأل عن شيء لم يُحرم، فحُرّم من أجل مسألته"[5].

والمراد بالحين في قوله {حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ} أي: زمان الوحي[6]، فالنهي محدد في هذا الزمن، أما فيما بعد الوحي فلا بد أن يسأل الإنسان عن دينه[7]، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ ﴾ [سورة النحل:43]، وفيه دلالةٌ على انتهاء الوحي والتشريع بعد موت الرسول ‘، وفي هذا ردٌّ على الذين يقولون: إنّ الوحي والنبوة لم ينتهيان، والله أعلم.

---

(1) الرد على الجهمية، للدارمي (168)، ت: أبو عاصم الشّوامي الأثري، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

(2) شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين (1/ 220) بتصرّف يسير، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1426هـ.

(3) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (11/ 112 – 115)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(4) سؤالات السُلمي للدارقطني (8)، فريق من الباحثين بإشراف وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد و د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ط1، ١٤٢٧ هـ.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب: ما يُكره من كثرة السؤال (9/ 95/ ح: ٧٢٨٩).

(6) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (1/ 246)، ت: عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط1 ، ١٤١٦هـ.

(7) تفسير العثيمين – المائدة (2/ ٤٣٩).

المبحث الثاني: إنزال الكتب السابقة

من أركان الإيمان الإقرار بأنّ الله سبحانه وتعالى أنزل كتبًا على أنبيائه عليهم السلام ، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا هو سبحانه[1] فنؤمن بها إجمالًا، وهذه الكتب نقول فيها كما قلنا في القرآن الكريم بأنها مُنزلةٌ من عند العليّ الأعلى سُبحانه نزولًا حقيقيًا، وأنّها كلامه جلّ في عُلاه، قال الله سبحانه وتعالى : {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [سورة البقرة:75]، فالمرادُ بكلام الله في هذه الآية: التوراة، قاله السدّي[2]وغيره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (مذهب سلف الأمّة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دلّ عليه الكتاب والسنة وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ليس ذلك مخلوقًا منفصلًا عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته)[3].

من الشواهد على إنزال الكتب السابقة:

الشاهد الأول: قوله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [سورة البقرة:136].

يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلّم بالردّ على اليهود والنصارى الذين قالوا: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا} [سورة البقرة:135]، بأننا صدّقنا بالقرآن الكريم وبالكتب التي أنزلها الله على الأنبياء المذكورين في الآية، والكتب التي آتى النبيين كلهم، وأقرّرنا وصدّقنا أن ذلك كله حَق وهُدى ونور من عند الله، وأن جَميع أنبياء الله كانوا على حقّ وهدى، يُصدِّق بعضهم بعضًا[4]، وابتُدِئ بالمنزّل إلينا في الآية رغم تأخره؛ تشريفًا له[5]، ولأنّ الناس بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلّم مدعوون إلى الإيمان بما أُنزل عليه أولاً جملةً وتفصيلاً، ولا يجب الإيمان بما أُنزل من قبل إلا على سبيل الجملة دون التفصيل[6].

---

(1) يُنظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العزّ (2/ 424_425)، ت: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،ط10، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (2/ 246)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية (12/ 37)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

(4) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (3/ 109_110)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(5) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (2/ 519)، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

(6) تفسير الراغب الأصفهاني (1/ 322)، ت: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، ط1: 1420 هـ-1999م.

والفرقُ بين قوله تعالى في الآية {وَمَا أُنْزِلَ} و {وَمَا أُوتِيَ}، أنّ المراد بالإنزال الآيات الشرعية (الكتب المنزلة)، والمراد بالإيتاء الآيات الشرعية والكونية[1].

الشاهد الثاني: قال تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾ [سورة البقرة:159]

يخبر الله سبحانه عن أهل الكتاب الذين كتموا وأخفوا ما بيّنه وأوضحه سبحانه من أمر نبوة محمد ' ومبعثه وصفته، في الكتابين اللذين أنزلهما على أنبيائهم وهما التوراة والإنجيل[2]، يقول مجاهد: (هم أهل الكتاب كتموا نعتَ محمد ' وصفتَه)[3]، ويدخل في الآية كذلك ما كتموه من الرجم والحدود والأحكام والحلال والحرام[4]، فهؤلاء يطردهم الله من رحمته بسبب كتمهم لهذا العلم.

والآية نزلت في خاصٍّ من الناس، لكن معنيٌّ بها كل من كتم علمًا فرضَ الله تعالى بيانه للناس[5].

المبحث الثالث: إنزال النعمة

المطلب الأول: إنزال الحديد

قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [سورة الحديد:25].

من النعم التي أنعم الله بها على العباد أن أنزل لهم الحديد (فيه جُنَّة وسلاح، وأنزله ليعلم الله من ينصره) قاله مجاهد[6]، فمن الحديد تكون آلات الحرب، كالسلاح والدروع وغير ذلك[7]، ومنافع لا تحصى أجناسها، فضلًا عن أنواعها وأفرادها، دينية ودنيوية، فردية وجماعية [8].

وقد اختلف العلماء في معنى الإنزال من قوله {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} على أقوال، ومن أبرزها:

القول الأول: الإنزال على حقيقته من علوّ إلى سُفل[9].

---

(1) يُنظر: تفسير العثيمين – الفاتحة والبقرة (2/ 87).

(2) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (3/249–251).

(3) تفسير مجاهد (218)، ت: د. محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،ط1، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م.

(4) الكشف والبيان للثعلبي (2/ 29)، ت:الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422، هـ–2002م.

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (3/ 251).

(6) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (23/ 201)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(7) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (842)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م.

(8) تفسير العثيمين – الحجرات – الحديد (424).

(9) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية (6/ 5)، ت: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، ١٤٢٦هـ.

القول الثاني: أنّ الله خلق الحديد بأمرِه، وأوامره تنزِل من السماء[1].

القول الثالث: قال قطرب: أنّه بمعنى النُزُل[2].

القول الرابع: أنّ معنى الإنزال الخلق [3]، والإنشاء والإحداث [4]، بمعنى: فخلق الله عزّ وجلّ الحديد وأفعاله إنما هي من علو في القدر والمنزلة[5].

القول الخامس: وُصف بالإنزال؛ لأن البركات تُنسب إلى أنها تأتي من السماء[6].

القول السادس: يرادُ بالإنزال التمكين والإلقاء في الروع، وذلك بالهداية إليه[7].

وأولى الأقوال بالصواب القول الأول؛ لأنّه المعنى المعروف من لغة العرب، وهو مِن حمل الكلام على ظاهره، فيكون المعنى أنّ الله أنزل الحديد من قمم الجبال، واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية[8]، وتلميذه العلّامة ابن القيّم[9]، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[10]، والشيخ ابن عثيمين[11]، والشيخ صالح الفوزان[12].

والكلامُ هنا عن معنى **الإنزال** لا عنِ المُنزَل نفسه، فإنّ المُنزَل له قسمين: عينٌ قائمة بذاتها، وصفة قائمة بموصوفها.

فالأولُ مخلوق مثل الحديد {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ}، والأنعام {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} [سورة الزمر:6]، والمطر {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} [سورة الأنعام:99].

والثاني صفةٌ من صفات الله سُبحانه غير مخلوقه، وهو القرآن الكريم {وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ} [سورة البقرة:231]، -ويدخل فيه كذلك الكتب السابقة- والقرآنُ كلامُه والقولُ لا يكون إلا بقائل[13].

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (4/ 480)، الفوائد التفسيرية (ضمن آثار المعلمي) (24/ 66).

(2) الكشف والبيان للثعلبي (9/ 246)، ت:الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422، هـ-2002م.

(3) التفسير البسيط للواحدي (11/ 235) أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي (3/ 448)، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُليماني وعائشة بنت الحسين السُليماني، الناشر: دار الغَرب الإسلامي، ط1، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.

(4) مفاتيح الغيب للرازي (19/ 134)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420هـ.

(5) المحرر الوجيز لابن عطية (2/ 388)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ.

(6) أحكام القرآن للجصاص (3/ 39)، عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(7) تفسير الراغب الأصفهاني (1/ 84)، ت: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، ط1: 1420 هـ-1999م.

(8) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (10/ 13)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

(9) مختصر الصواعق المرسلة لابن الموصلي (442)، ت: المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، ط1، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

(10) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (1/ 218)، ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط1، 1399هـ.

(11) تفسير العثيمين – فصلت (67).

(12) من الأسئلة على شرح الفتوى الحموية (صوتي) الدرس 23، بدأت إجابة الشيخ من الدقيقة 52:10.

(13) يُنظر: تفسير العثيمين – الفاتحة والبقرة (1/ 133).

المطلب الثاني: إنزال الأنعام

قال سبحانه في محكم التنزيل: {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} [سورة الزمر:6]

من النعم على بني آدم أن أنزل الله لهم الأنعام وسخّرها لهم، وأنزل من هذه الأنعام أزواجًا مختلفة، ذكرها الله سبحانه وتعالى في آيات أخرى: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} [سورة الأنعام:143]، {وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ} [سورة الأنعام:144].، قال مجاهد: (من الإبل والبقر والغنمِ والضأن)[1]، واختلف المفسرون في معنى إنزال الأنعام كاختلافهم في معنى إنزال الحديد[2]، وزادوا هنا قولًا آخر وهو أنّ الأنعام لا تعيش إلا بالنبات، والنّبات لا يقوم إلا بالماء وقد أَنزل اللهُ سبحانه الماء فكأنه أنزلها[3].

ويرى الباحث أن الأولى عدم إخراج لفظ الإنزال عن معناه الظاهر والمعروف لغةً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة؛ فإن الأنعام تنزل من بطون أمهاتها، ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها)[4]، ووافقه على هذا القول تلميذه العلّامة ابن القيّم[5]، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[6]، والشيخ صالح الفوزان[7].

المطلب الثالث: إنزال اللباس

قال تعالى ذكره: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [سورة الأعراف:26]

يذكّر الله سبحانه وتعالى عباده بنعمةٍ من نعمه، بأن أنزل لهم من اللباسِ والريش ما فيه ستر العورات وهي السوءات، والرياش والريش ما يُتجمل به ظاهرًا، فالأول من الضروريات والريش من الكماليات[8]، وسمّيت العورةُ سوءةً؛ لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده[9].

واختلف المفسرون في معنى إنزال اللباس، فقيل بمعنى الخلق[10]، وقيل بمعنى الإلهام[1]، وقيل بمعنى ما أنزلنا من المطر؛ فنبت الكتان والقطن ونبت به الكلأ الذي هو سبب نبات الصوف والوبر والشعر على ظهور البهائم[2]، وغير ذلك.

---

(1) تفسير مجاهد (577)، ت: د. محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،ط1، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

(2) المطلب السابق.

(3) التيسير في التفسير للنسفي (3/ 170)، ت: ماهر أديب حبوش، وآخرون، الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول - تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م.

(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية (12/ 254)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

(5) مختصر الصواعق المرسلة، لابن الموصلي (442)، ت: المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، ط1، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

(6) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (1/ 218)، ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط1، 1399هـ.

(7) من الأسئلة على شرح العقيدة الواسطية (صوتي) الدرس 17، بدأت إجابة الشيخ 1:00:08.

(8) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (3/ 359)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.

(9) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (361/12)، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة.

(10) تفسير البغوي (3/ 221)، ت: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ-1997م.

ويُرجح الباحث أن يُعمل بمعنى الإنزال على حقيقته ولا يُعدل عنه، فيكون المعنى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: (إنّه ينزله من ظهور الأنعام، وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار وينتفع به بنو آدم من اللباس والرياش، فقد أنزلها عليهم وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب)[3].

المطلب الرابع: إنزال الميزان

قال الله جلّ جلاله: {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} [سورة الشورى:17]

وقال عزّ وجلّ: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [سورة الحديد:25]

يخبر الله سبحانه وتعالى أنّه أرسل الرسل إلى عباده وأنزل معهم الكتب والميزان ليقيموا العدل بين الناس، وهذا من عظيم النعم التي وهبها سبحانه وتعالى لعباده.

والميزان هو (العدل) قاله مجاهد[4]، وقتادة[5]، ومقاتل[6]، وعليه أكثر المفسرين، فهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة[7]، ومعنى إنزال العدل، أي إنزاله في القلوب عن طريق الملائكة عليهم السلام ، مثل نزولهم لتثبيت المؤمنين {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} [سورة الأنفال:12]، فذلك الثبات نزل في القلوب بواسطة الملائكة[8]، فدلّ هذا على أنه أنزل في القلوب من الميزان ما يعلم به القسط[9]، وعلى ذلك فكل الدلائل العقلية، من الآيات الآفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم، داخلة في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به سبحانه وصدق ما أخبرت رسله، ممّا خرج عن هذين الأمرين عن الكتاب والميزان، وليعرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه[10].

---

(1) الكشف والبيان للثعلبي (8/ 307)، ت:الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422، هـ-2002م.

(2) التفسير البسيط، للواحدي (9/ 73)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي (3/ 448)، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُليماني وعائشة بنت الحسين السُليماني، الناشر: دَار الغَرب الإسلامي، ط1، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.

(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية (12/ 256)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

(4) تفسير مجاهد (589)، ت: د. محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،ط1، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م.

(5) تفسير عبد الرزاق (3/ 160)، ت: د.محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، سنة 1419هـ.

(6) تفسير مقاتل (3/ 767)، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

(7) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (8/ 27)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.

(8) مجموع الفتاوى لابن تيمية (12/ 249) بتصرّف يسير، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

(9) جامع المسائل، لابن تيمية (258/2)، ت: محمد عزير شمس، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، اط2، ١٤٤٠ هـ.

(10) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (756)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

المطلب الخامس: إنزال المنّ والسلوى

قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [سورة البقرة:57]

وقال عزّ من قائل: {وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [سورة الأعراف:160]

وقال جلّ في علاه: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [سورة طه:80]

وهب الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل جُملة من النّعم، ومنها ما أنزله عليهم في التيه من المنّ والسلوى، وقد اختلفت أوصاف المفسرين للمنّ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: (المنّ الذي يسقط من السماء على الشجر فتأكله الناس)[1]، وقال مجاهد: (المن صمغة)[2]، وقال قتادة: (المنّ كان ينزِل عليهم في محلتهم مثل العسل)[3] وفي رواية: (مثل الثلج)[4] وقال مقاتل: (أما المنّ فهو الترنجبين، فكان ينزل بالليل على شجرهم أبيض كالثلج حلو مثل العسل)[5] فوصف مقاتل جمعَ الأقوال كلّها، وسمّيَ منًّا؛ لأنّه ممّا منّ الله به من غير تعب ولا نصب[6]، والسلوى طائر، قال قتادة: (والسلوى طيرٌ كانت تحشرها عليهم ريح الجنوب)[7].

وجاء الفعلُ مرةً بالتخفيف {ٌ} لبيان جنسها بأنها نعمة، ومرّةً بالتضعيف {بن} لدلالةٍ إضافية وهي التكثيرُ والتّكرار، فهي واحدةٌ من حيث الجنس، متعددة من حيث النوع والتكرار، يقول مقاتل في المنّ (فيغدون عليه لكلّ إنسان صاع لكل ليلة فيغدون عليه فيأخذون ما يكفيهم ليومهم ذلك لكل رجل صاع ولا يرفعون منه في غد)[8].

المطلب السادس: إنزال المطر

إنّ من عظيم قدرة الله عزّ وجلّ إنزال المطر، من بداية إرسال الرياحِ وتحريك السحاب به، إلى اجتماع السحاب ومدّه سبحانه له فيُنزل الله المطرَ من خلال هذه السُحب متى شاء إلى من يشاء، رحمةً وكرمًا وعطاءً من اللطيف الكريمِ المنّان، فيستبشرُ النّاس به (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) [الروم: 48]، فيجعلُ الله بهذا المطرِ حياةً للأرضِ ولساكنيها، وحياةً لقلوبِ المتأملين لآثارِ رحمته وعظيمِ فضله، وتذكرةً لمن وَعى أنّ الذي أحيا هذه الأراضين لقادرٌ على إحياءِ الموتى.

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (2/ 93)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(2) تفسير مجاهد (203)، ت: د. محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،ط1، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م.

(3) تفسير يحيى بن سلام (1/ 269)، ت: هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1425 هـ–2004م.

(4) تفسير عبد الرزاق (1/ 271)، ت: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ.

(5) تفسير مقاتل (1/ 108)، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

(6) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (1/ 138)، ت: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط1، 1408 هـ–1988م.

(7) تفسير عبد الرزاق (1/ 271)، ت: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ.

(8) تفسير مقاتل (1/ 108)، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

من الشواهد على إنزال المطر:

الشاهد الأول: قال الكريمُ المنّان: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ} [سورة إبراهيم:32]

يبيّن الله سبحانه وتعالى لنا من مظاهر قدرته خلقُه للسماواتِ والأرض، وإنزالُه المطر من السماء وإخراج الثمرات من هذا المطر، والمرادُ بالسماء هنا السحاب، وعبّر عنه بالسماء؛ لأنّه في علوّ؛ يقال: السماءُ كل ما علاك فأظلّك[1]، وفي الآيةِ تذكيرٌ بآلاء الله، وتنبيه على قُدرته التي فيها إحسان إلى البشر[2].

الشاهد الثاني: قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} [سورة الشورى:28]

قال قتادة: (قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أجدبت الأرض وقنط الناس، قال: مُطروا إذًا)[3]، فإنزال المطرِ من بعد ما يئس الناس منه، أدْعى إلى شُكر مُنزِله[4]، وأبيَن لرحمةِ الله تبارك وتعالى وفضله[5]، وهو الوليّ الذي يتولى الخلق بإحسانه، والمحمودِ على أياديه عندهم[6].

وسميّ المطرُ غيثًا؛ لأنّه تحصل الإغاثة، وهي الإنقاذ من الشدة، فمن المطرِ ما تزول به الشدّة ومنه ما لا تزول به[7]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "ليست السَّنَة بأن لا تمطروا، ولكن السَّنة أن تُمطَروا وتُمطَروا ولا تُنبت الأرض شيئًا"[8]، وفي قوله تعالى: {يُنَزِّلُ} قراءتان، قرأها بالتضعيف نافع وابن عامر وعاصم، وباقي السبعة على تخفيفها[9]، وفي قراءة التضعيف دلالةٌ على تكثير الفعل وتكريره.

المطلب السابع: إنزال الرزق والخير

الشاهد الأول: قال تعالى جدّه: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} [سورة غافر:13]

يرينا الله سبحانه وتعالى حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته، ومن ذلك إنزالُه سبحانه للرزق وتكفله بذلك، لكن لا يعتبر ويتعظ بهذه الحجج إلا من ينيب أي: من يرجع إلى توحيده، ويقبل على طاعته[10]، والمراد بالرزق الذي ينزله الله، يقول مقاتل: (المطر)[1]، ويقول

---

(1) أدب الكاتب، لابن قتيبة (85)، ت: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

(2) المحرر الوجيز لابن عطية (3/ 339)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1422هـ.

(3) تفسير عبد الرزاق (3/ 162)، ت: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ.

(4) التفسير الوسيط للواحدي (4/ 54)، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، ١٤٣٠هـ.

(5) تفسير العثيمين – الشورى (238).

(6) محاسن التأويل للقاسمي (8/ 368)، ت: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

(7) تفسير العثيمين – الشورى (238) بتصرف.

(8) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة (180/8/ح: ٢٩٠٤).

(9) السبعة، لابن مجاهد (165_166)، ت: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

(10) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (21/ 362)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

غيره: الملائكة لتدبير الرزق[2]، والصواب العموم فإنّ في السماء رزقًا من المطر، وفيها ما كتبه الله لنا في اللوح المحفوظ من المصالح والمنافع الجسدية من أموال وبنين وغير ذلك[3].

الشاهد الثاني: قال تبارك وتعالى: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} [سورة الشورى:27]

يخبر سبحانه أنّه ينزل ما يشاء تنزيله من الأرزاق بقدر، وهو جل وعلا أعلم بالحكمة والمصلحة في مقدار كل ما ينزله[4]، فلو بسط الله الرزق لعباده بلا كسب؛ لتفرغوا وتفاسدوا، ولكن شغلهم بالكسب[5]، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن هذا الرزق يتنزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما كتب الله لها)[6].

المبحث الرابع: إنزال العذاب

الشاهد الأول: قال العظيمُ سبحانه: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [سورة البقرة:59]

هذه الآية وردت في سياق قصة موسى عليه السلام مع قومه، حين أمرهم الله سبحانه أن يدخلوا الباب خاضعين له ويقولون: حطّة، لكنّهم قومٌ ظالمون بدلّوا القول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "قيل لبني إسرائيل {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ} [سورة البقرة:58]، فبدّلوا فدخلوا يزحفون على أستَاهِهِم وقالوا حبّة في شَعَرَة"[7]، فبسبب فسقهم وتبديلهم أمر الله أنزل الله عليهم رجزًا من السماء، والرجزُ هو العذاب، قال ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: (كلّ شيءٍ في كتاب الله من الرجز، يعني به العذاب)[8]، وقوله سبحانه **ثمى**مِنَ السَّمَاءِ**ثمى** أي من فوقهم، كالحجارة والصواعق والبرد والريح وغيرها؛ فالمرادُ بالسماء هنا العلو، ولا يلزم أن يكون المراد بها السماء المحفوظة؛ لأن كل ما علا فهو سماء ما لم يوجد قرينة[9].

الشاهد الثاني: قال القوي العزيز: {إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [سورة العنكبوت:34]

---

(1) تفسير مقاتل (3/ 708)، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

(2) بحر العلوم، للسمرقندي (3/ 163)، ت: ش.علي محمد معوض، ش.عادل أحمد عبدالموجود، د. زكريا عبدالمجيد النوتي – دار الكتبالعلمية – بيروت، ط1، 1413هـ.

(3) يُنظر: تفسير العثيمين – الحجرات _ الحديد (131).

(4) أضواء البيان، للشنقيطي (7/ 206)، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م.

(5) يُنظر: بحر العلوم، للسمرقندي (3/ 196)، ت: ش.علي محمد معوض، ش.عادل أحمد عبدالموجود، د. زكريا عبدالمجيد النوتي – دار الكتبالعلمية – بيروت، ط1، 1413هـ.

(6) تفسير يحيى بن سلام (1/ 396)، ت: هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1425 هـ–2004م.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حدثني إسحاق بن نصر، (156/4/ح: 3403).

(8) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (1/ 277)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ–1999م.

(9) تفسير العثيمين – الفاتحة والبقرة (1/ 202).

العذاب المذكور في الآية هو في حقّ قوم لوط عليه السلام، وقد بيّن الله سبحانه العذاب المُنزل عليهم في آياتٍ أخرى من كتابه، فقال عزّ من قائل: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} [سورة الحجر:73-74]، وهذه العقوبات الثلاث كلّها من علوّ، فالصيحةُ (صيحة جبريل عليه السلام) قاله مقاتل[1]وغيره[2]، وقُلبت أرضهم من علوٍّ إلى سُفل، وأنزل عليهم حجارةً من طين نُضِد بعضه إلى بعض، متتابعًا[3]، وفي كون العذابِ أتاهم من الأعلى أشدّ وأبلغ؛ لإحاطته[4]، وقرأ ابن عامر قوله تعالى: {مُنْزِلُونَ} بالتشديد[5]، وفيه زيادة دلالةٍ على تكثير العذاب وشدّته وتتابعه.

المبحث الخامس: إنزال الملائكة

الإيمانُ بالملائكة ثاني أركان الإيمان، فيجب الإيمانُ بما ذكر الله عنهم، ومن ذلك أنّهم من أعظم الخلق وأكملهم، خلقهم الله من نور، جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلّم: "خلقت الملائكة من نور"[6]، ولهم أجنحة {أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} [سورة فاطر:1]، موكّلون بما يأمرهم الله لا يعصونه ولا يفترون ولا يسأمون من طاعته {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [سورة الأنبياء:20]، {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [سورة التحريم:6]، جُند من جنود الله لا يعلم عددهم وعظمهم وأصنافهم إلا الله سبحانه {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [سورة المدثر:31]، لكنّه سبحانه قد بيّن في القرآن والسنّة أسماء بعضهم كجبريل وإسرافيل عليهما السلام، وبيّن وظائف بعضهم فمنهم ملائكة الرحمة ومنهم ملائكة العذاب والحفظة الكاتبين وغير ذلك، (هم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنده في أقطار العالم)[7]، وسيأتي في هذا المبحث بعضٌ من تنزلاتهم عليهم السلام.

المطلب الأول: تنزلهم بالوحي

الشاهد الأول: قال الله تعالى: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} [سورة النحل:2] يُنزل الله سبحانه وتعالى الملائكةَ بالوحي من أمره الذي هو كلامه[8]، قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى بالروح: (بالوحي)[9]، وسمّاه روحًا؛ لأنه يحيي به القلوب[1]، على من يشاء من عباده وهم الأنبياء عليهم السلام، لأنّهم أتمّ الخلق عبودية لله، وأمرهم بأن ينذروا الناس ويعلمونهم التوحيد الذي هو أساس دعوة الأنبياء جميعًا.

---

(1) تفسير مقاتل (2/ 433)، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

(2) التصاريف، ليحيى بن سلام (240)، التفسير الوسيط، للواحدي (3/ 49)، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي(2/ 538).

(3) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (15/ 437)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(4) يُنظر: تفسير العثيمين – العنكبوت (171).

(5) السبعة، لابن مجاهد (215)، ت: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب: أحاديث متفرقة (8/226/ح:2996).

(7) شرح الطحاوية، لابن أبي العزّ (2/408)، ت: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،ط10، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(8) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (12/ 248)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

(9) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (17/ 165)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

وفي قوله: {يُنَزِّلُ} ثلاث قراءات: جميع القراء على تشديد الزاي وفتح النون عدا ابن كثير وأبي عمرو فقرءاها بسكون النون وتخفيف الزاي {ينْزِل}، وقرأها أبو بكر عن عاصم **ﻣﻲ**تَنَزَّل**ﻣﻲ** بالتاء، و**ﻣﻲ**الملائكةُ**ﻣﻲ** بالرفع[2]، وحجته قوله: {وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ} [سورة الفرقان:25][3]، وفي قراءة التشديد دلالة على التدرج في نزول الوحي.

الشاهد الثاني: قال الله تعالى: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [سورة مريم:64]

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام: "ألا تزورنا أكثر مما تزورنا" قال: فنزلت: الآية [4]، ومعنى الآيةِ أنّ جبريل عليه السلام يخبر الرسول صلى الله عليه وسلّم أنّ عدم نزوله إليه ليس بنسيان الله عزّ وجلّ للرسول عليه الصلاة والسلام، بل هو الذي لا يعزُب عنه شيءٌ في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى، ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه[5].

المطلب الثاني: إنزالهم مددًا وتثبيتًا للمؤمنين

الشاهد الأول: قال ربّ العالمين: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [سورة التوبة:26]

في يوم حُنين أُعجب المؤمنون بكثرتهم وظنّوا أنها ناصِرتهم، لكنّها لم تنفعهم وتغلّب عليهم الأعداء ابتداءً وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت، وتولّوا مدبرين عن أعداء الله، وثبتَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ونزرٌ من الصحابةِ معه، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: (أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلّم ما ولّى، ولكنه انطلق أخِفّاءُ من الناس وحُسّرٌ[6] إلى هذا الحيّ من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برِشقٍ من نَبْل، كأنها رِجْلٌ من جراد[7] فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزّل نصرك"[8]، {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ

---

(1) تفسير البغوي (4/ 8)، ت: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ-1997م.

(2) السبعة، لابن مجاهد (370)، ت: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، 1400هـ.

(3) حجة القراءات، لابن زنجلة (385)، ت: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (4/112_113/ح: ٣٢١٨).

(5) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (18/ 225)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(6) الأخفّاء: المسارعون المستعجلون، حسّر: أى بغير دروع ولا ما يتقون به النبل. (إكمال المعلم بفوائد مسلم 130/6).

(7) الجماعة الكثيرة من الجراد (غريب الحديث، للقاسم بن سلام 4/ 222).

(8) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين (5/168/ح: ١٧٧٦).

وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} ثمّ منّ الله سبحانه وتعالى على رسوله والمؤمنين بعد هذا الاضطراب بإنزال السكينةِ في قلوبهم وهي: الأمنة والطمأنينة[1]، وهذه السكينةُ تُنزلها الملائكةُ على قلوب المؤمنين[2]، لتُثبتهم في موقفهم.

{وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} قال مقاتل:(يعنى الملائكة)[3]، أنزلهم الله معونةً للمسلمين، يثبتونهم، ويبشرونهم بالنصر[4]، يقول رجل كان من المشركين يوم حُنين: (لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه السلام، لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم، فبينا نحن نسوقهم، إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء، فتلقانا رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا! فرجعنا، وركبنا القوم، فكانت إياها)[5]، فنصر الله المؤمنين، وعذّب الكافرين بالهزيمةِ والذلّة جزاءً على كفرهم.

الشاهد الثاني: قال تعالى ذكره: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [سورة فصلت:30]

يخبر الله سبحانه وتعالى عن تنزّل الملائكة عليهم السلام على {الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، وهم كما يقول أبو بكر رضي الله عنه: (الذين لم يعدلُوها بشرك ولا غيره)[6]، فيقولون لهم: لا تخافوا على ما يُستقبل من أمركم، ولا تحزنوا على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل[7]، وسُرّوا بأن لكم في الآخرة الجنّة التي كنتم توعَدونها في الدنيا على إيمانكم بالله، واستقامتكم على طاعته[8].

وتنزّلهم يكون كلما دعت الحال إلى ذلك، عند الموت، وعند الخوف، وعند المعارك، وفي كل حال تقتضي نزولهم؛ لأن الله أطلق التنزّل في الآية، ولدلالةِ صيغة {تَتَنَزَّلُ} على أن تنزّلهم يكون شيئًا فشيئًا، وأنّ هذا التنزّل متكرر[9]، وكثير من المفسرين خصّوا التنزّل في هذه الآية بأنّه عند قبض روح المؤمن، قال مجاهد: (ذاك عند الموت)[10]، وهذا الموضع هو من أشد المواضع التي يحتاج فيه المؤمن إلى التثبيت.

المطلب الثالث: تنزلهم بالعذاب

قال تعالى: {مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ} [سورة الحجر:8]

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (14/ 189)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(2) يُنظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (12/ 249)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.

(3) تفسير مقاتل (2/ 165)، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (332)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (14/ 186)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(6) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (21/ 464).

(7) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (748)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

(8) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (21/ 467).

(9) يُنظر: تفسير العثيمين – فصلت (167).

(10) تفسير مجاهد (586)، ت: د. محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،ط1، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م.

طلب الكفّار تعنّتا وتكذيبًا من الرسول صلى الله عليه وسلّم إثبات صحّة دعواه بأنّه أُنزل إليه القرآن الكريم، وأنّه رسولٌ من عند الله عزّ وجلّ، وذلك بأن يأتي بالملائكة تشهد على صِدق ما قاله، فجاءهم الردّ في هذه الآية، بأنّ الله عزّ وجلّ لا يُنزّل الملائكة إلا بالحقّ، يقول مجاهد: (يعني: بالرسالة والعذاب)[1]، بالرسالة إلى رسلنا، أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه[2]، فصار طلبهم لإنزال الملائكة تعجيلًا لأنفسهم بالهلاك والدمار[3].

وفي قوله: {مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ}، ثلاث قراءات:

قرأ حفص وحمزة والكسائي: {مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ} بالنون وتشديد الزاي ونصب الملائكة، وقرأ الباقون من السبعة: {ما تَنَزَّل الملائكةُ} مفتوحة التاء والنون مشددة الزاي ورفع الملائكة، عدا أبو بكر عن عاصم قرأها: {ما تُنَزَّل الملائكةُ} مضمومة التاء مفتوحة النون ورفع الملائكة، على ما لم يسم فاعله[4]، فقراءة عاصم وحمزة والكسائي أُسند الفعل فيها لله عزّ وجلّ، وقراءةُ الباقين أُسند الفعل فيها للملائكة، يقول الطبري: (وكل هذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني، وذلك أن الملائكة إذا نزّلها الله على رسولٍ من رسلِه تَنَزَّلت إليه، وإذا تَنَزَّلَت إليه فإنّما تنزِل بإنزال الله إياها إليه)[5].

المطلب الرابع: تنزلهم يوم القيامة

قال الله جلّ وعلا: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [سورة الفرقان:25]

من هول يوم القيامةِ وعظمته حدوث الأمور العظيمةِ فيه، ومن ذلك ما ذكره الله سبحانه في هذه الآية من تشقق السماء وتنزّل الملائكة عليهم السلام فيُحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثم يجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء[6]، فالغمامُ في الآية هو الذي ينزل الله تبارك وتعالى فيه، ينزل من فوق السماوات [7]، يقول مجاهد: (هو الذي قال: {فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ} [سورة البقرة:210] الذي يأتي الله فيه يوم القيامة)[8]، ومصداقُ ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال: "يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قيامًا أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء" قال: "وينْزِلُ الله عزّ وجلّ في ظُلَلٍ من الغمام من العرش إلى الكرسي...الحديث"[9].

---

(1) تفسير مجاهد (415)، ت: د. محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر،ط1، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (17/ 67)، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (429)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

(4) السبعة، لابن مجاهد (366)، ت: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (17/ 67).

(6) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (105/6)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.

(7) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (581)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

(8) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (19/ 260)، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة.

(9) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، من مسند عبدالله بن مسعود ﷺ (357/9/ح:9763)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (418/3).

وفي قوله تعالى: {وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ} قراءة أخرى، فقرأها ابن كثير بنونين ونصب الملائكة {ونُنْزِل الملائكةَ}[1]، وعلى كلا القراءتين فالله سُبحانه هو المنزّل، وقراءة التضعيف فيها زيادةٌ وهي الدلالةُ على التكثير، فالملائكة من كثرتهم يحيطون بالخلائق.

المطلب الخامس: تنزلهم ليلة القدر

قال الله تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [سورة القدر:4]

تتحدث آيات سورة القدر عن فضل هذه الليلة المباركة ومزاياها، فمن هذه المزايا تنزّل الملائكة فيها هم {وَالرُّوحُ} وهو جبريل عليه السلام على المشهور من أقوال أهل العلم[2]، وخُصّ بالذكرِ تعظيمًا[3]، يتنزلون في هذه الليلة بإذن ربّهم سبحانه وتعالى (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) قال قتادة: (يقضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها)[4].

وأصلُ الفعلِ {تَنَزَّلُ} تتنزّل، فإن التقت التاءان جاز الحذف والإثبات[5]، وإنما حُذفت تخفيفًا، ودلالةُ الصياغة هنا التدرّج والتكثير؛ فالملائكةُ عليهم السلام يتنزلون شيئاً فشيئًا من السماوات السبع حتى تملأ الأرض[6]، ويكثُر نزولهم عليهم السلام في هذه الليلة المباركة، قال الرسول صلى الله عليه وسلّم: "إنّ الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى"[7].

المطلب السادس: تنزلهم بالسحر ابتلاءً للعباد

قال جلّ في علاه: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...} [سورة البقرة:102]

يخبر الله جلّ جلاله عن فريقٍ من أحبار اليهود وعلمائهم بأنّهم نبذوا كتاب الله وهم يعلمون صدقه تجاهلًا منهم، وآثروا اتّباع السحر الذي تلته الشياطين في عهد سليمان عليه السلام [8]، وزعم بعضهم أنّ سليمان عليه السلام ما كان إلا ساحرًا[9]، فنزّه الله سبحانه نبيّه من ذلك فنفى عنه الكُفر عمومًا، والسحرُ من الكُفر فانتفاؤه عنه من بابٍ أولى، قال قتادة: (ما كان عن مشورتِه ولا عن رضا منه، ولكنّه شيء افتعلته الشياطين دونه)[10]، وكذلك اتّبع اليهود السحر الذي أُنزِل على الملكين بأرض بابل، وقد أنزل الله السحر على الملكين امتحانًا وابتلاءً من الله لعباده، فما يعلمان من أحد من النّاس حتى ينصحانه ويخبرانه أنهما فتنةً واختبارًا، وينهيانه عن الكفر بتعلّم

(1) السبعة، لابن مجاهد (464)، ت: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (24/ 534)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (320/1).

(3) إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه (533).

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (24/ 534).

(5) الكتاب لسيبويه (4/ 476)، ت: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، ط3، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(6) يُنظر: تفسير العثيمين – جزء عمّ (271).

(7) أخرجه أحمد في مسنده (428/16/ح: 10734)، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (2/ 961).

(8) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (405/2–413)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

(9) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (41/2_42)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة،ط2، 1384هـ–1964م.

(10) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (2/ 418).

السّحر، فتعليم الشياطين للسّحر على وجه التدليس والإضلال، وتعليم الملكين امتحانًا مع نصحهما لئلّا يكون للنّاس حجة في اتّباعه[1].

وقد أُختلف في معنى الإنزال والمُنزل في قوله تعالى: {وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ}، فقيل: أنّ هاروت وماروت هبطا بالسحرِ ابتلاءً للناس[2]، وهذا قولٌ بعيد؛ لأنّ الآيةَ تنصّ على أنّه مُنزلٌ عليهما لا معهما، وقيل: أنّ الإنزال بمعنى الإلهام والتعليم[3]، وقيل: بمعنى الخلق[4]، وهذا بعيدٌ كذلك؛ لأنّ هذه المعاني ليست من معاني النزول، فيكون فيها مخالفةً لظاهر النصّ.

والصواب أنّ النازل علم السحر[5] لا السحر نفسه؛ إذ السحر أمر موجود من قبل[6]، والله سبحانهُ وتعالى لم يسمّ ما نزَل، وهذا العلم أنزله الله سبحانهُ وتعالى إلى الملكين نزولًا حقيقيًا لظاهر اللفظ، إمّا عن طريقِ الوحي فيكون النّازل به الملائكة عليهم السّلام كعادتهم بتنزلهم بأوامر الله سبحانه، وإما بطريقةٍ أخرى نفوّض كيفيتها لله العليم الخبير سبحانه.

المبحث السادس: تنزل الشياطين

يقول ربّ العالمين: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ} [سورة الشعراء:221-223]

يقول الله تعالى: قل يا محمّد: هل أخبركم على من تنزّل الشياطين؟ والاستفهام للتقرير[7]، إقامةً للحجةِ وتحديًّا لهم[8]، ثمّ أخبر أنها تتنزّل على كلّ كاذبٍ مُفتري، وخُصّوا بالكهنة كما جاء عن قتادة: (هم الكهنة تسترق الجن السمع، ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس)[9]، ومصداقُ ذلك ما روته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلّم قال: " الملائكة تتحدث في العنانِ، والعنانُ الغمامُ، بالأمرِ يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتُقِرُّها في أذن الكاهن كما تُقَرُّ القارورة[10]، فيزيدون معها مئة كذبة" [11].

وصيغةُ {تَنَزَّلُ} تدلّ على التكلّف؛ فقد تكلّف الشياطينُ فعلًا ليس لهم، كما وصفهم عليه الصلاة والسلام: "ومسترقو السمع هكذا، واحد فوق آخر" [12].

---

[1] يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (61)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

[2] تفسير مقاتل (1/ 128)، ت: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط1، 1423هـ.

[3] التفسير البسيط، للواحدي (3/ 194)، المسالك في شرح موطأ مالك لابن العربي (3/ 448)، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُليماني وعائشة بنت الحسين السُليماني، الناشر: دَار الغَرب الإسلامي، ط1، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (1/ 352)، ت:سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.

[5] تفسير العثيمين – المائدة (2/ 38).

[6] التحرير والتنوير لابن عاشور (1/ 640)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.

[7] البحر المحيط، لأبي حيان (199/8)، ت:صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط1420هـ.

[8] تفسير العثيمين – الشعراء (309).

[9] جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (19/ 414)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

[10] يُقال: قررت الكلام في أذن الأبكم إذا وضعت فمك على سماخه فنفثته فيه، كما تقرّ القارورة برأس الوعاء الذي يفرغ منها فيها وقال أهل اللغة: القر ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه، والقر أيضا الصوت لأنّه يكون لما يلقيه إلى الكاهن حسّ كحسّ القارورة عند تحريكها مع اليد أو على الصفا. (أعلام الحديث 3/ ١٥١٦ – الكواكب الدراري 205/13).

[11] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (125/4/ح: 3288).

[12] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: "إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين" (80/6/ح: 4701).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على نبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلّم، خيرته من خلقه وصفوته من أنبيائه، وعلى آله وصحبه.

النتائج:

1. لمفردة نزل واشتقاقاتها في القرآن الكريم ستةُ معانٍ هي: القول، والأمر، والإخراج، ومدارات القمرِ، والضيافة، والحلول، وجاءت هذه المعاني في اثنتين وعشرين آية من كتاب الله، أما باقي الآيات فمفردة نزل فيها بمعنى النزول الحقيقي من علوّ إلى سفل.
2. أنّ الكلام عن مُفردة الإنزال، يختلف عن الكلام عن الشيء المُنزل، وهذا من أكثر ما يُشكل في بيان المعنى، فيجب الفصل بين الأمرين، لأن إثبات أن الشيء مخلوقٌ لا ينافي نزوله من مكانٍ عالٍ إلى مكانٍ أسفل منه.
3. إثبات صفة العلوّ لله سبحانه وتعالى؛ لأنّه سبحانه أخبر بنزول القرآن من عنده وبنزولِ المطر والرزق وغير ذلك من علوّ، ومن كمال الله سبحانه وتعالى ألّا يُظنّ أو يوصف بأنّ هناك شيئًا فوقه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.
4. دلالات نزل تختلف باختلاف صيغها، وتتنوع دلالات الصيغة الواحدة بتنوّع السياق الذي ترد فيه، كما في صيغة (تنزّل) حين جاءت في سياق الملائكة دلّت على التكثير والتكرير، أمّا في سياق الشياطين دلّت على التكلّف.

التوصيات:

مفردات القرآن الكريم زاخرةٌ بالمعاني متعددة الدلالات، فأوصي الباحثين بالاهتمام بالجوانب اللغوية في القرآن الكريم، كما في مفردة (مسس)، (قصر) وغيرها.

المراجع:

1. (شرح العقيدة السفارينية) الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1426هـ.
2. (صحيح مسلم) المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري – محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي – أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، الناشر: دار الطباعة العامرة – تركيا، عام النشر: ١٣٣٤ هـ، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٣٣ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.
3. (نكت القرآن) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي القصاب (المتوفى: نحو 360هـ)، تحقيق: الجزء 1: علي بن غازي التويجري، الجزء 4: شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم – دار ابن عفان، الطبعة: الأولى 1424 هـ-2003م.
4. أحكام القرآن، للجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
5. أدب الكاتب (أدب الكتّاب)، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: محمد الدالي، الناشر: مؤسسة الرسالة.
6. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م.
7. إعراب القراءات السبع وعللها، أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن خالويه الأصبهاني (ت ٦٠٣ هـ) [كذا بالمطبوع، والصواب أنه لأبي محمد ابن خالويه النحوي (ت ٣٧٠ هـ)]، ضبط نصه وعلق عليه: أبو محمد الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٢٧ هـ – ٢٠٠٦.
8. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
9. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، حققه الشيخ .علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والدكتور زكريا عبدالمجيد النوتي – دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1413هـ.
10. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: 1420هـ.
11. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
12. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

13. تأويلات أهل السنة، تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ-2005م.
14. التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984هـ.
15. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
16. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦هـ.
17. التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، قدمت له وحققته: هند شلبي، الناشر: الشركة التونسية للتوزيع، عام النشر: ١٩٧٩م.
18. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
19. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ-1999م.
20. تفسير العثيمين – الشعراء، السجدة، الأحزاب، الزمر، فصلت، الشورى، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ.
21. تفسير العثيمين – الصافات، الحجرات_الحديد، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
22. تفسير العثيمين – الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
23. تفسير العثيمين – المائدة، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٣٥هـ.
24. تفسير العثيمين – جزء عمّ، محمد بن صالح العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م.
25. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ-1999م.
26. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – 1419هـ.

27. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م.
28. تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ-1964م.
29. تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ)، المحقق: الدكتور محمد بلتاجي، الناشر: جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
30. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419هـ.
31. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م.
32. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: 150هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى – 1423هـ.
33. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ- 2004م.
34. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ-2000م.
35. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
36. التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (المتوفى: ٥٣٧ هـ)، المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، الناشر: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩م.
37. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة.
38. جامع المسائل، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثانية (للمجموعات من ١ – ٩)، ١٤٤٠هـ.
39. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

40. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.
41. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
42. ديوان الفرزدق، دار صادر – بيروت.
43. الرد على الجهمية، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠ هـ)، المحقق: أبو عاصم الشّوامي الأثري، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.
44. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت 795هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ.
45. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422هـ.
46. السبعة في القراءات، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.
47. سؤالات السلمي للدارقطني، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.
48. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
49. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ-2003م.
50. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي (المتوفى: 256هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.
51. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ-1997م.
52. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د.مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
53. غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: 1398 هـ-1978م.

54. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: 1389هـ)، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1399هـ.
55. قواعد التفسير جمعًا ودراسة، خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار ابن عفان 1421هـ.
56. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
57. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.
58. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ-2002م.
59. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
60. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ-1995م.
61. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى 1418هـ.
62. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى 1422هـ.
63. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.
64. المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦ هـ)، المحقق: مروان العطية – محسن خرابة، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.
65. مسند أحمد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
66. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ-1997م.

67. معاني القراءات، للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ-1991م.
68. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ-1988م.
69. معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: 338هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المرمة، الطبعة: الأولى، 1409.
70. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.
71. معاني القرآن، للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: 215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1411 هـ-1990م.
72. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية — القاهرة، الطبعة: الثانية.
73. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.
74. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة: الرباعة 1425هـ-2004م.
75. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420هـ.
76. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
77. المُنجَّد في اللغة، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (ت بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، الناشر: عالم الكتب –القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م.
78. النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
79. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
80. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ-1994م.
81. مقطع صوتي: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان.
82. مقطع صوتي: شرح العقيدة الحموية، للشيخ صالح الفوزان.